لغز البوليس السري

الساحر الصيني

الاخطار

الساحر الصيني

•

تأليف : ساكس رومر

•

خمسون صورة — قصة كاملة

المكتبة الادبية - بيروت

١

الدكتور فومنشو

في حي من احياء لندن الآمنة، كانت تحاك مؤامرة رهيبة ترمي الى قلب النظام العالمي رأساً على عقب ...

وكان الدكتور فومنشو العالم الصيني العظيم، زعيم هذه المؤامرة ومدبر هذه الحركة .. وكان في هذه اللحظة التي تبدأ فيها قصتنا في سبيل حبك خطوط هذه المؤامرة الرهيبة ، وربط اطرافهـــا ، وفي سبيل اتقان الاختراعات المرعبة التي كانت وليدة ذكائه وعبقريته ..

ونظر فومنشو الى مساعديه، وقد امسكا بفتاة غاية في الجمال والروعة، يقول لهما :

— لقد بدأ يظهر عليها تأثير الحقنة .. وستنفذ بعد الان كل ما امرها به وادعوها اليه .. فان (ارداثا) الجميلة تمثل دوراً خطيراً في المؤامرة التي اعمل على تنفيذها للسيطرة على العالم ...

وكان جواب الخادمين على هذه الكلمة : سمعاً وطاعة يا مولاي ..

والآن دعوني اقص عليكم القصة كما وقعت ، وكما شاهدتهـا بعيني ، واي دور لعبته فيها ..

انني ادعى تري كريفان ، احـــد المحررين في صحف لندن ، وقد حدث في احـــد ايام الربيع ، ان ذهبت لزيارة السر ليونل

بارتون ، وهو من مشاهير المغامرين والرواد ، دون ان افطن الى ما يخبئه لي القدر من وراء هذه الزيارة ، وكيف اني ودون ان اشعر ، قد أقحمت نفسي في اكبر مغامرة وقعت على ظهر هذه الارض ..

فلما جلست اليه في غرفته الخاصة ، مضى يقص عليّ نتفاً من مغامراته واخباره ، ثم انبأني انه في سبيل مغامرة جديدة عظيمة ، وانه قد أعد العدة للقيام برحلة الى جزيرة هايتي ، ليبحث عن كنوز الملك كريستوف ملك هايتي العظيم الذي توفي منذ مئات الاعوام ..

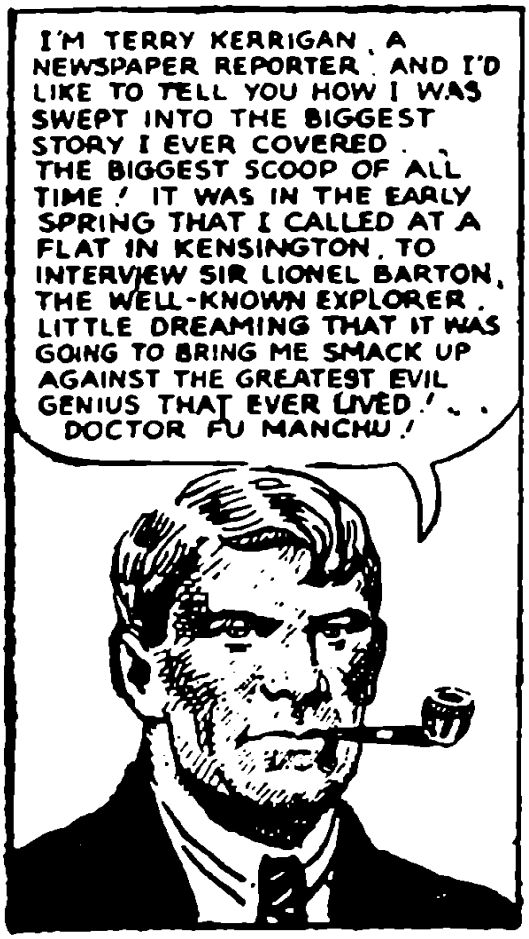

انا تري كريغان احد مخبري الصحف ، واريد ان أقص عليكم قصتي العجيبة الغريبة .

وكان وهو يتحدث اليّ قد بسط خريطة امامه ، اخذ يتحسسها باصابعه بين وقت وآخر ، ويشير الى المكان الذي يظن ان الكنوز مدفونة فيه ، وهو يقول :

ـ اذا كانت هذه الخريطة صادقة ـ وهو ما اعتقده ـ فاني واثق من ظفري بالكنوز المذكورة ..

وبعد ان وضع اصبعه على صليب في الخريطة قال :

ـ ان هذا الصليب هو المكان المطلوب .. والذي اعتقده ان الكنوز مطمورة الى جانب البركان القائم في هذا المكان ..

« ومن المؤكد ان العثور على الكنوز لن يكون سهلاً بالتأكيد ..

السر ليونل بارتون : العملية ليست سهلة .. ان جزيرة هايتي مليئة بالاسرار ... انها مقر الاموات الاحياء..

كريفان: اذا سمحت لي جريدتي فاني مستعد للذهاب معك ..

فجزيرة هايتي ، جزيرة مليئة بالاسرار، وهي كما يقال المكان الذي تستقر فيه الارواح بعد الموت .. واؤكد لك ان قليلاً من الرجال البيض قد تمكنوا من الوصول الى قلب الجزيرة ، ولكن احداً منهم لم يعد الينا ليقص علينا ما شاهده ، وما رآه ..

فصحت وانا لا اشعر بخطر ما اقول :

– أني لعلى استعداد لمرافقتك في مغامرتك هذه ان شئت ..

فاجابني السر ليونل : اكون مسروراً جداً من مرافقتك ، واذا رضي صديقنا ميلاند سميث بمرافقتنا ، ايضاً .. فاني اكون اكثر سروراً وانشراحاً ...

فقلت : نيلاند سميث مفتش البوليس في سكوتلانديارد ؟ هذا جميل جداً ... ولكني سمعت انه الآن في اميركا يتعاون مع الحكومة

الاميركية على تعزيز شؤون الدفاع عن قناة بناما..

وفجأة سمرّت في مكاني لما تطلعت الى النافذه ، وصحت قائلا :

– من الذي يقف امام النافذة ؟

السر ليونل : يجب ان تكون منومة تنويما مغناطيسياً ... اني لم ارها في حياتي.

كريفان : ابق هنا ، وحافظ على الخريطة ، فسأذهب للقبض عليها ...

وحدّقنا النظر في النافذة التي كانت تطل على الحديقة فاذا بنا امام فتاة رائعة الجمال ، تتقدم نحونا كأنها صنم من الاصنام ، قامة مشدودة ، ورأس مرتفع ، وفي العينين قوة وجمود ، فصاح السر ليونل :

– يا إلهي .. هذا مخيف .. لا بد انها منومة تنويماً مغناطيسياً ، واني لواثق من اني لم ارها في حياتي ..

فصحت في صديقي : لا تتحرك من مكانك ، واحتفظ بالخريطة ، فسأجري خلف الفتاة لعلي اوفق الى القبض عليها ..

واسرعت الى الحديقة .. فلم اجدها فيها ، فلما جريت نحو الشارع ،

ابصرتها تجري مسرعة على الرصيف البعيد ، فلمـــا حاولت اللحاق بها ، كانت حركة السير على الرصيف من الشدة بحيث لم استطع ان اشق طريقي بين الناس إلا بصعوبة ، فلما انتهيت اخيراً من التغلب على الزحام الذي كان حولي ، كانت قد غابت عن الانظار ..

فعدت ادراجي فاشلاً وانا اقول لنفسي :

– لقد اضعتها .. وانه لحادث لم اشاهد مثله في حياتي ... ولكن ترى من هي ؟.. وما غايتها ..؟

وطافت الافكار المتناقضة في ذهني .. ولكني لم اوفق الى تفسير ما شاهدته ورأيته فعدت الى المنزل قانطاً ..

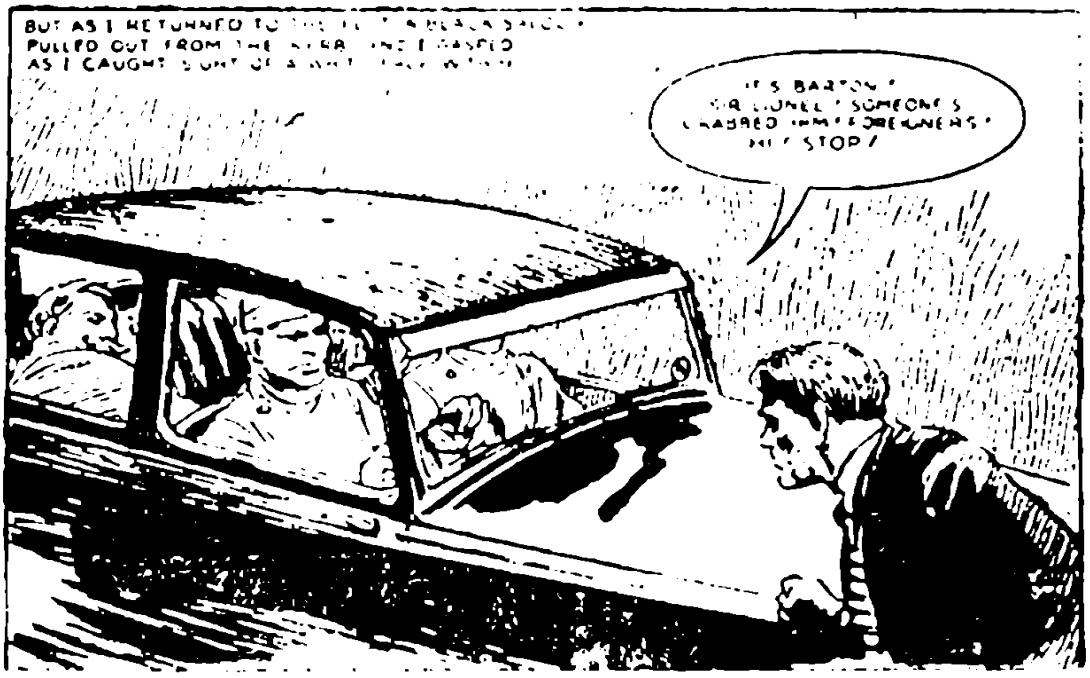

كريفان : انه بارتون.. لقد خطفوه .. انهم اغراب .. توقفوا ..

فلما شارفته ابصرت سيارة كبيرة مقفلة ، تندفع مسرعة من امـام باب المنزل ، ولمحت في داخلها وجه السر ليونل ... فاندفعت اصيح :

– لقد خطفوه ، انهم من الاجانب .. هيا قفوا ..

ولكن السيارة مضت في سبيلها مسرعة ، فاندفعت الى البيت المقفر ،

فوجدت الاثاث بعضه فوق بعض ، فعلمت ان صديقي العالم الكبير قد دافع عن نفسه دفاع الابطال ، وانه لم يستسلم إلا بعد ان تمكن منه خاطفوه بقوة العدد ..

كريفان : لقد حطموا كل شيء .. لا بد انه قاومهم .. ولا بد ان ظهور الفتاة كان لابعادي عن البيت .. يجب اخبار البوليس حالا ..

واسرعت نحو الباب،فما كدت اصل اليه حتى وقفت سيارة امامه.. فصحت بالسائق قبل ان اشاهد وجهه :

ـ تعال خذني الى دائرة البوليس ... وارجو ان تسرع فان المسألة مسألة حياة او موت ..

وعندئذ حملق السائق في وجهي وهو يقول:

ـ ما الذي تفعله هنا يا كريفان .. وما هذا الخطر الذي تتحدث عنه ..؟

ونظرت دهشاً الى وجه السائق ، وما عتمت ان صحت :

ـ نايلاند سميث ..حمداً لله على انك هنا.. لقد كنت اظن انك في

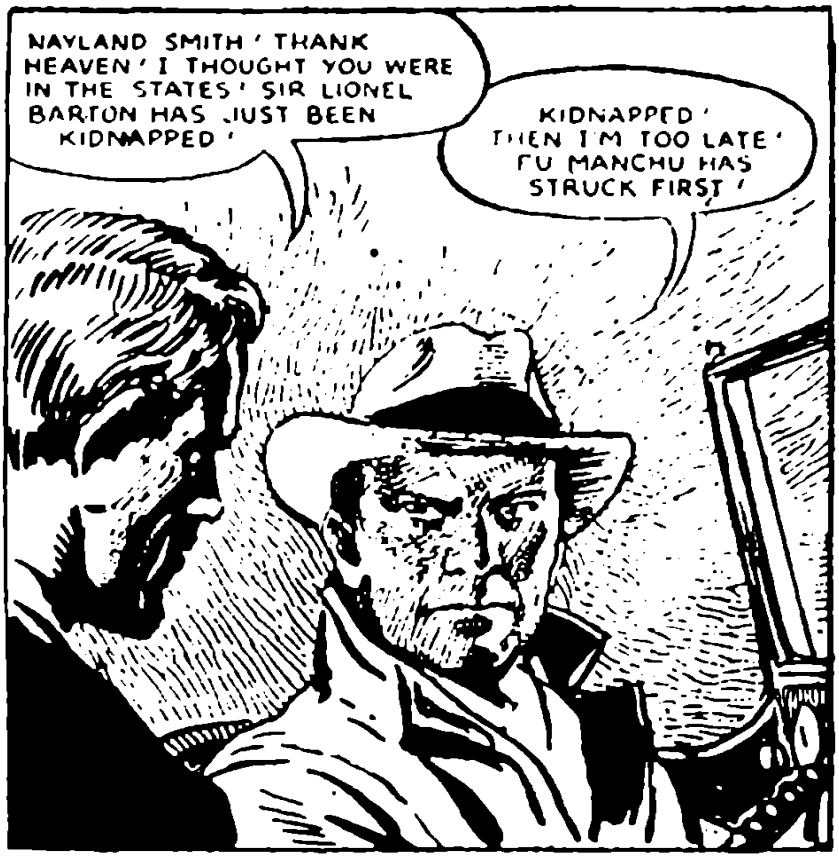

كريفان : هـــذا انت يا سميث كنت اظنك في اميركا .. لقد خطفوا السر ليونـــل بارتون منذ هنيهة ..

سميث : اذاً لقد تأخرت، فقد ضرب فومنشو ضربته الاولى ..

اميركا ، واما سبب اضطرابي فهو ان السير ليونل بارتون قد صار اختطافه منذ دقائق ..

فصاح عندئذ سميث بلهجة القانط :

ـ اذاً لقد تأخرت .. وضرب فومنشو ضربته قبل وصولي ...

فقلت : اذاً فرجاله هم الذين خطفوا صديقنا العالم ؟.. ولكني ما اظنهم بعيدين عن هذا المكان.. فقد ساروا في الطريق العام نحو الشرق، منذ دقائق فقط ..

ـ اذاً ، فتعال اجلس الى جانبي لنلحق بهم ..

واسرعت الى جانبه ، ومضت السيارة مسرعة في سبيلها ، وقد ظهر الاهتمام على وجه سميث مفتش البوليس ، ولما تمالكت روعي ، اخذت احدثه بقصة الفتاة، وكيف ظهرت لنا من خلف النافذة، وكيف اني لما خرجت لمطاردتها كانت قد اختفت عن الانظار ..

سميث : هذه الفتاة هي « اردانا » فتاة يونانية وقعت في قبضة فومنشو واصبحت عبدته .. وتحت سلطانه ..

وقال سميث وهو لا يرفع نظره عن الطريق الذي امامه :

— لا بد ان تكون هذه الفتاة اردانا الحسناء ، وهي يونانية الاصل ، وقعت بين براثن فومنشو ، فاصبحت واحدة من عبيده .. مسكينة هذه الفتاة .. من يدري اي قوى خفية يؤثر بها عليها ..

فقلت وانا اصرّ على اسناني : النذل ..

ومضى سميث يقول : ولكننا لا نزال في اول المعركة ... ومن المنتظر حدوث امور كثيرة ايضاً ، ان مصير العالم يتعلق على مصير العراك الذي يقوم بيننا وبين الدكتور فومنشو ، انه الآن في سبيله لهدم الحضارة القائمة ، وخطته شديدة الصلة بصديقنا بارتون وخريطة الكنوز في هايتي .. ولهذا فمن الواجب استرجاعها ما كان الى ذلك سبيل..

وكنا في هذه الاثناء قد اصبحنا نسير في طريق قليل الزحام خفيف المارة ، فشاهدت في آخره سيارة الماربين ، فصحت في سميث اقول له:

– هذه هي السيارة ..

– حمداً لله ، والآن علينا ان نتأثرها بهدوء حتى لا يفطن اصحابها الى غرضنا ، فنعرف اي مكان يقصدون ..

كريفان : لا اثر للسيارة .

سميث : يجب ان تكون في ارض المنزل ... يجب ان نتقدم بحذر ..

وبعد قليل وقفت سيارة الخاطفين امام منزل منعزل بعيد بعض الشيء عن الطريق ، فاوقفنا سيارتنا في احد الازقة الضيقة البعيدة ، ونزلنا منها في طريقنا الى المنزل السري .. وهتف سميث يقول لما وقفنا قبالة الجدار الخارجي للمنزل :

– لقد اختفت السيارة ..

فقلت : لا بد انها قد وقفت في مكان ما من الارض التي تحيط بالمنزل ..

– اذاً فالافضل ان نتقدم نحوه بهدوء وحذر ...

وتقدمنا نحو المنزل بشيء كثير من الحذر والحيطة ، وسرنا في الحديقة

الواسعة دون ان يفطن الينا احد ، حتى اصبحنا خلف نوافذ غرفة من غرف الطابق الاول، وكان يصدر عنها نور يدل على ان القوم قد حملوا اسيرهم اليها ..

وبعد ان حدقت ملياً من خلف الزجاج قلت لسميث :

– لقد وضعوا بارتون على منضدة طويلة ، فما الذي يجب علينا ان نفعله ؟

وهتف سميث بصوت خفيض بعد ان نظر الى الداخل:

– انه هو .. انه الشيطان فومنشو ..

فومنشو : لقد انذرتك يا بارتون ... ولكن لم تأبه لانذاري ... لقد اصبحت الخريطة عندي .. وانت ستموت ..

ووقفنا في مكاننا ننتظر ونراقب ما يفعل الخصم .. وبعد قليل سمعنا صوت فومنشو يقول :

– لقد انذرتك يا بارتون .. ولكنك لم تأبه لانذاري .. واما الآن فقد اصبحت الخريطة في يدي .. واما انت فليس امامك غير الموت ..

وصاح بارتون : ايها القذر ..

وشعرت بيد سميث الحديدية ، تقبض على ساعدي ، ويشير اليّ ان اتبعه ، ففعلت .. فدار حول البناء قليلاً ،ثم رأيته يقتحم احدى النوافذ ، وباسرع من لمح البصر اصبح في داخل المنزل ..

سميث : خذ هذا المسدس فقد نحتاج اليه ولا تتردد في اطلاق النار ..

كريفان : بالتأكيد يا حضرة المفتش.

وبعد ثوان اصبحت الى جانبه ، فقال لي هامسا :

ـ خذ هذا المسدس .. فقد تحتاج اليه ، واحـــذر ان تتخاذل او تضطرب او تتردد عندما تجد ضرورة الى اطلاق النار ... اقتحم انت هذا الباب .. وسأقتحم انا الثاني ..

فقلت له : بالتأكيد ايها المفتش ..

وتقدمت نحو باب الغرفة ، فأدرت الاكرة فانفتح الباب ملياً ... واذا بي اجد نفسي في الغرفة التي فيها بارتون وفومنشو ، فصحت بسميث :

ـ اليّ يا سميث ..

وفي هذه اللحظة سمعت فومنشو يخاطب الشخص الواقف امـــام بارتون المقيد والممدد على المنضدة :

– بامكانك ان تمضي في العملية ..

كريغان : خذ هذه ايها المجرم ..

بارتون : كريغان ... الحمد لله ..

ولكن ما كاد الرجل يرفع يده بالحقنة المميتة حتى اطلقت النـــار عليه ، وانا اقول :

– خذ هذه ايها القاتل ..

وصاح عندئذ بارتون لما شاهدني :

– أهذا انت ياكريغان.. شكراً لله لقد وصلت في الوقت المناسب.

واسرع سميث خلفي الى الغرفة في اللحظة التي انصرفت انا فيها لقطع الحبال التي كانت تربط بارتون .. وهو يقول :

– ولكن اين فومنشو ؟

فقال بارتون : انه خلف هذه المكتبة ، انها ممر سري بالتأكيد ...

فقد رأيته يهرب منها ...

واسرعت انا وسميث الى حيث كانت المكتبة ، فتعاونا على ازاحتها من مكانها ، فانفتح امامنا ممر سري يؤدي الى الارض الفضاء خارج المنزل ، وكنا قد تركنا بارتون في الغرفة ، بحجة انه في سبيل البحث عن الخريطة التي كان واثقاً انها فيها ..

ولما اصبحنا في الارض خارج المنزل قال لي سميث :

ـ اذهب انت من هذه الجهة ، وسأذهب انا من الجهة الاخرى لعلنا نعثر عليه ..

فمضيت في سبيلي بين الاشجار ، وبعد قليل وقعت على الفتاة ارداثا ، وهي واقفة كالصنم تحت شجرة من اشجار الحديقة ، فقلت لها :

ـ انت هنا ايضاً .. يا مسكينة .. اني ادعى كريفان وانا صديقك ، فاذكري ذلك ، ثم اني اريد مساعدتك ، فلا تفارقيني .

ارداثا : انت صديقي ... اني اشعر بذلك .. ولكن يوجد خطر فاذهب يا كريفان ..

كريفان : لن اذهب بدونك ... فتعالي ..

فصاحت دون ان تتحرك : انت صديقي .. هذا صحيح .. واني لاشعر بذلك .. ولكن الخطر يتهددك يا كريفان فاهرب قبل فوات الاوان ..

فقلت : لن اغادر هذا المكان بدونك فتعالي معي ..

وفي هذه اللحظة بالذات شعرت بساعدين من خلفي يلتفان حول عنقي، وبمنديل مبلل يوضع على فمي وانفي، فحاولت المقاومة، فلم اوفق ثم اخـــذت قواي تضعف، وادركت اني في سبيل استنشاق مخدر قوي.

وامتدت يد من خلفي، ووضعت على فمي كمامة رطبة .. فحاولت المقاومة فلم اوفق ..

وظهر الدكتور فومنشو في الحديقة في هذه اللحظة، وقال يخاطب الرجلين اللذين قبضا على كريفان :

– لقد هرب الآخر، ولكن هذا صديقه فخذوه حالاً ..

واحسست من تأثير المخدر اني انتقل من مكان الى آخر، تارة في الهواء واخرى على الماء، ثم بدا لي اني اسمع صوت الدكتور المخيف، ففتحت عيني، فوجدت نفسي في غرفة غريبة مليئة بالآلات الغريبة، والماكنات العجيبة، وسمعت عندئذ صوت الدكتور فومنشو واضحاً وهو يخاطبني : لقد عدت الى صوابك يا كريفان اخيراً .. اذاً فاعلم انك

الآن في مختبر الدكتور فومنشو ... حيث اقوم باختباراتي وتجاربي الجديدة، ولتعلم اني انذرت صديقك نيلاند سميث مفتش البوليس لاعادة الخريطة التي فقدتها في هذا المساء بالذات ، فاذا لم يفعل فانك ستكون موضع اختباراتي الجديدة ..

فومنشو : اني اعمل لمعرفة سر « الخفاء » وعندئذ تصبح الدنيا تحت امري .

كريفان : هذا جنون ..

وعرتني رعدة ، وحسبت الدم يجري بارداً في شرايييني .. لما رحت انظر الى ابتسامته المخيفة تملأ وجهه ، وتابع الدكتور حديثه قائلاً :

— ولتعلم اني في سبيل البحث عن سر الخفاء ، عن السر الذي يمكن الانسان من الوجود في اي مكان ، دون ان يراه انسان ، ومتى ظفرت بهذا السر ، يصبح العالم تحت رحمتي ..

وضرب الدكتور يداً بيد ، ففتح البـــاب القائم في اقصى الغرفة ، وظهر على عتبته مخلوق ضخم من الزنوج ، سخيف الهيئة ، ولكن الغرابة فيه انه كان ابيض البشرة ، وكان لون جسمه كلون العـــاج ، فاشار

الدكتور اليه وقال :

– هذا احد مخترعاتي ، فقد كان في الماضي اسود البشرة كزملائه من الزنوج .. واما الآن فهو ابيضها كما ترى ...

وضممت اطرافي بعضها الى بعض من شدة العجب والدهشة ، وفجأة لمست شيئاً صلباً في جيبي ، فعلمت انه المسدس الذي اعطاني اياه نيلاند سميث قبل ان نقتحم الغرفـــة ، وادركت ان خصومي لم يفطنوا الى وجوده في جيبي فتركوه وشأنه ...

وما كاد الزنجي يغادر الغرفة حتى شهرت مسدسي ، وصحت في وجه فومنشو :

– ارفع يديك الى ما فوق رأسك ايها الشيطان ، او اضطر الى قتلك في الحال ...

فومنشو : ان هذا الخيط المعدني الذي يمتد على الارض بيننا ، يحمل الموت اليك اذا حاولت ان تجتازه ..

ولم يأبه الدكتور لوعيدى ، ولا اعاره كبير اهتمام ،وهتف يقول :

ـ اتظن ذلك ؟

وادخل الدكتور يده في كمه وخفت ان يكون في سبيل اخراج مسدسه ، فاطلقت النار عليه ، وانا اقول :

ـ لقد حذرتك من العاقبة ...

وهتف الدكتور في وجهي هادئاً يقول :

ـ انك في سبيل اضاعة وقتك يا مستر كريفان ..

ووقفت مكاني مشدوهاً ، كأنما اصابتني صاعقة ، انظر الى فومنشو الذي لم يؤثر عليه رصاصي ينظر إلي باسماً هادئاً ... وهو يقول :

ـ انظر الى هذا الخيط من الفولاذ الممتد على ارض الغرفة ، والذي يفصل بيني وبينك .. احذر ان تتخطاه او تمر فوقه ، فان الشعاع الذي ينبعث منه الى سطح الغرفة يمزقك ارباً ويقطعك الى نصفين ، تماماً كما ردّ رصاصك عن صدري ، وحفظني من عدوانك ..

ومشى فومنشو نحو الباب ، وقد سمرّت في مكاني ، فلم اعد ادري ما يجب ان افعل او اعمل ، ولما اصبح على عتبة الباب ، قال يخاطبني :

ـ سأتركك في هذا المكان بعض الوقت ،فاحذر ان تتخطى الشريط ، او تمد يدك الى الماكنات الموجودة في الغرف فان الموت كامن فيها ،وقد اعذر من انذر ...

واغلق الباب خلفه .. وتركني وحدي في هذا المختبر المرعب ... الذي كان مليئاً بآلات الموت والاشعاعات المخيفة ...

ونظرت الى الباب المقفل امامي ، ومددت يدي اتحسسه مليـــاً ، وفجأة سمعت صوت خطوات تقترب منه ... ثم جمد الدم في عروقي لما استشعرت ان هناك شخصاً خلفه يحاول فتحه .. وبعد قليل اخذ الباب يفتح رويداً رويداً ...

الجزيرة السرية

اسرعت نحو الباب ومسدسي بيدي ... وفجأة ظهر الزنجي الابيض على عتبته .. وخيل إلي ان هـذه مكيدة جديدة من مـكائد فومنشو ، ولكني قررت المغامرة والمخاطرة، فلوحت بمسدسي في وجـــه الزنجي ، وامرته ان يرفع يديه ...

كريفان : الزنجي الابيض ... لعله يحاول حيلة جديدة من حيل فومنشو ..؟ارفع يديك.

العبد : اهـــدأ يا سيدي.. ان حسن يريد مساعدتك ..

فهتف الرجل في وجهي وهو يقول :

– هدىء روعك ايها السيد.. فاني ادعى حسن.. واريد مساعدتك فلا تطلق النار ...

وهدأ روعي، واعدت المسدس الى جيبي ، وتابع حسن حديثه قائلًا:

ـ لقد ارسلتني السيدة البيضاء لانقاذك ، وكنت من خدم عائلة السيدة البيضاء منذ سنوات عديدة .. ولهذا فاوامرها اقدس عندي من اوامر فومنشو العظيم ، فتعال واتبعني ..

فقلت : السيدة البيضاء .. أتعني اروانا ؟

وتبعت الزنجي في طريق ضيق مظلم ، ثم اخذنا ننزل درجاً تنبعث منه رائحة الرطوبة ، فقلت للزنجي :

ـ اذا كانت هذه لعبة جديدة ، فستكون من الهالكين ..

فهمس يقول : صه ، لا ترفع صوتك ، فان هـذه الجدران تحمل الصوت من مكان الى آخر ، واذا عرف بامرنا فومنشو ، فستكون هذه الدقائق آخر ايامنا في الحياة ...

كريفان : هذه هي الفرصة وليس هناك سواها..

ولما انتهينا الى اخر الدرج وجدت نفسي في نفق يندفع فيه الماء ، وسمعنا على الاثر جرساً يقرع فصاح الزنجي يقول:

ـ أسمعت صوت الجرس ... انهم يطلبونني .. واما انت فما عليك إلا ان تسبح في هذا الماء ،

فاذا انتهيت الى اخره تجد فتحة تصل بك الى نهر التاميز ، فاسرع ولا تضع الوقت ...

واسرع الزنجي يعدو ، وسمعت على الاثر صوت خطوات تندفع على درج السلم الحجري ، فرميت نفسي في الماء ، وحبست انفاسي ، ثم اخذت اسبح تحت الماء ملياً . حتى وصلت اخيراً الى الفتحة التي اخبرني الزنجي عنها ، فلما جزتها وجدت نفسي في النهر حقاً ، وامامي المراكب التجارية المختلفة .. وكنت قد اصبحت على اخر رمق ...

وعندئذ سمعت صوتاً يقول :

– يوجد شخص في الماء ...

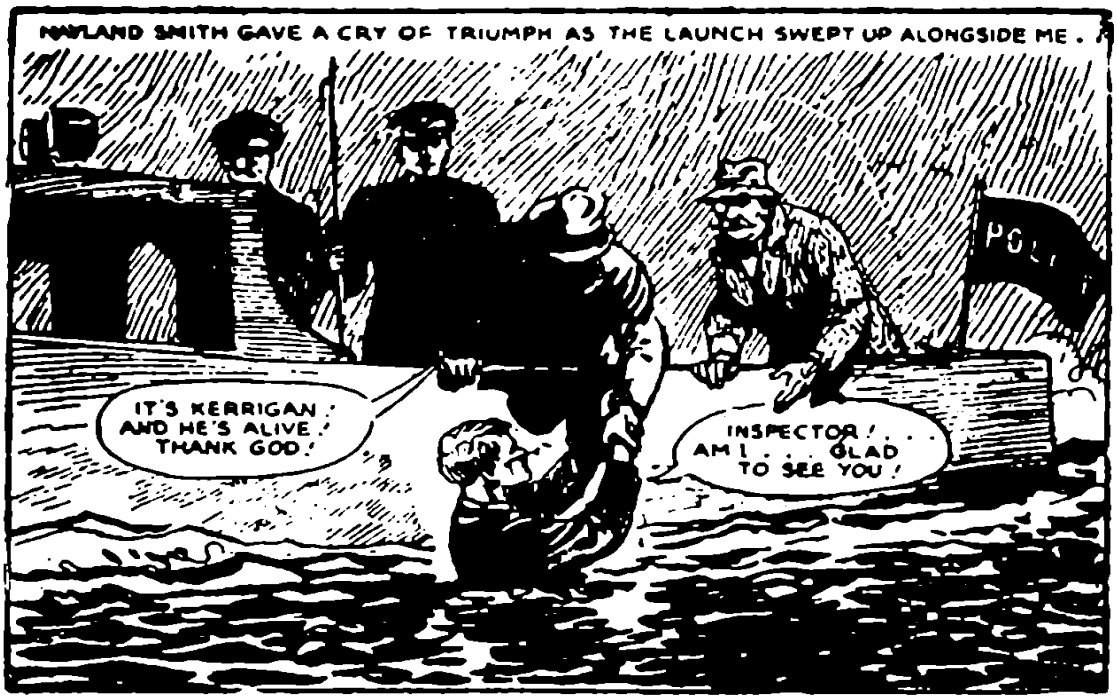

سميث : انه كريفان .. وهو حي ..

كريفان : اني مسرور من رؤيتك يا حضرة المفتش .

واحسست ان زورقاً بخارياً يتقدم نحوي ، ثم سمعت صوت صديقي نيلاند سميث مفتش البوليس يقول :

– هذا كريفان وهو حي .. حمداً لله ...

وغمرني السرور لما استشعرت بان الزورق البخاري خاص بالبوليس وصحت اقول لصديقي :

— كم انا مسرور من رؤيتك يا سميث ...

واسرع الزورق على الاثر نحو الشاطىء، وكان سميث في هذه الاثناء يقول: لقد اتخذنا كل الاحتياطات حول الحي الصيني.. والبوليس منتشر حوله ومحيط به من كل مكان .. ومن المؤكد اننا سنوفق هذه المرة للقبض على فومنشو ، ولسوف تكون مساعدتك ثمينة ا ، فانت الوحيد الذي دخل الى مقره وخرج حياً ...

وقد علمت منه انه لما تمكن رجال فومنشو مني وخدروني وقبضوا عليّ ، اسرع سميث في اثرهم ، ولكنه اضاع هذا الاثر في الحي الصيني ، فقرر عندئذ تفتيشه ، وارسل يطلب نجدة من البوليس لتطويقه ، وهذا هو السبب في كونه كان موجوداً في النهر ، ليشرف على عمليات التفتيش من هذه الناحية ..

كريغان : هذا هو المكان يا سميث .. وهذا هو الرواق الذي هربت منه .

سميث : هذا حسن يا كريغان .. ولكن يبدو ان المنزل خال من السكان .

وبعد ان ابدلت ثيابي في مركز البوليس على ضفة النهر ، ذهبت مع رجال البوليس لمراقبة عمليات التفتيش التي كانوا يقومون بها في الحي الصيني لمعرفة مقر فومنشو واعوانه، وكنت اقول لسميث في اثناء ذلك:

ـ لقد نقلوني الى هذا المكان وانا تحت تأثير المخدر ... ولكني بالتأكيد سأعرف المنزل متى وضعت قدمي فيه ..

كريفان : هذا هو المختبر .. ولكنه عار من كل شيء .. هذا ما لا يصدق..

سميث : لقد فشلنا .. وهرب فومنشو ..

وبعد ساعات من التفتيش ، وبينما نحن في احد منازل الحي قلت لسميث فجأة :

ـ هذا هو المنزل بالتأكيد ياسميث، وهذا هو الممر الذي هربت منه.

فقال سميث : هذا حسن جداً يا كريفان ، ولكني لا اجد في هذا المنزل حياة ولا انساناً ..

وبعد قليل وصلت الى مختبر فومنشو ، فصحت لما شاهدته :

ـ هذه هي غرفة المختبر دون ما شك.. ولكنها تبدو خالية خاوية..

وهذا ما لا استطيع تصديقه ، فقـــد كنت هنا لساعات خلت فقط ، فكيف استطاعوا نقل ما فيه من الماكنات والآلات بهذه السرعة ...

وعض سميث على شفتيه وهو يقول :

ـ لقد فشلنا ، وتمكن الشيطان من الهرب ...

وكان السر ليونل بارتون يصحبنا في عمليات التفتيش هـــذه ، فلما ادركنا ان الشيطان قد افلت من ايدينا ، قررنا العودة الى منزل السير ليونل بارتون ، لنقرر خطتنا المقبلة ، تجاه هـذه التطورات الجديدة ...

وقال سميث ونحن في طريقنا الى المنزل :

ـ ولتعلما اننا نواجه خطراً جاهـلاً ، وشراً مستطيراً ، اشد بكثير مما تعرضنا له حتى الآن ...

واصابتني رعدة لما استمعت الى كلمات صديقي سميث ، ولاذ الجميع

حيث : اعرف اين ذهب فومنشو ... واذا كان لا بد لنا من افساد خططه الجهنمية فعلينا ان نتبعه بسرعـــة ... اين خريطة هايتي ؟

السر ليونل : أتعتقد انه ذهب الى هايتي للبحث عن الكنوز ؟

بالصمت في اثناء الطريق حتى وصلنا الى منزل صديقنا العالم الكبير ...

فلما احتوانا المنزل، أسدل سميث الستائر حول نوافذ الغرفة، وراح يقول: ليس هناك من شك عندي في المكان الذي ذهب اليه فومنشو.. واذا كان لا بد لنا من تمزيق خططه ، وتهديم مشروعاته فما علينا إلا ان نتبعه حالاً .. واني احذركما من الخطر العظيم الذي يهددنا منذ الآن .. والآن اين الخريطة يا سير ليونل ..؟

فصاح السير ليونل : اذاً فانت واثق من انه ذهب الى هايتي للبحث عن كنوز كريستوف ...

فقال سميث : ان مطامع فومنشو اوسع من هذا واعظم واعمق.. وقد كان غرضه من سرقة خريطتك منعك من تفتيش هـــذه المنطقة وارتيادها .. واني لواثق من ان مقر فومنشو هو في هذه الجزيرة ... ومن هذا المركز سوف يضرب ضربته لقلب العالم.. نعم .. انه سيعمل على تمزيق الحضارة من هذه الجزيرة السرية المليئة بالخفاء والاسرار ..

وهتف السير ليونل يقول : يا للفظاعة ..

وبسط ليونل الخريطة على المائدة ، واخذنا نحن الثلاثة ننظر اليها.. وبعد قليل وضع سميث اصبعه على مكان فيها وراح يقول :

ــ ان هناك قصة قديمة تقول بوجود مغارة عظيمة في هذه الجزيرة ، وهي عبارة عن مرفأ او ميناء يسع اسطولا عظيماً ... تقع في المكان الذي يقال ان الكنوز مدفونة فيه ، او مخبأة تحت ارضه ... الى هـذا المكان يجب ان نذهب ، ولكن ليس للبحث عن الذهب يا سير ليونل ، وانما لمسألة حياة او موت ، بل لمهمة يتعلق عليها مصير العالم وهناؤه ..

وتقطعت اربعة وعشرين ساعة بعـــد هذا الاجتماع ، كانت مليئة بالاحـداث والاجتماعات ، بعضها مـع المسؤولين في سكوتلاند يارد ،

والبعض الآخر مع كبار موظفي وزارة الخارجية ..

وفي ساعة متأخرة من المساء، ركبنا الطيارة في طريقنا الى العالم الجديد .. الى اميركا ..

وبعد ايام كنا على ظهر سفينة صغيرة ، في طريقنا الى جزيرة هايتي، الجزيرة السرية المخيفة ..

بارتون : انظر الى هذا الشخص يا سميث انه يراقبنا ..

سميث: انهم يراقبوننا منذ نزولنا في نيويورك ... انهم يعرفون اننا هنا..

واخيراً وصلنا الى الجزيرة ، التي يقال انها مليئة باشباح الاموات.. ونزلنا في فندق الغرباء ، وبعد ان أدرت نظري يميناً وشمالا في نزلاء الفندق ، قلت لسميث :

ـ انظر الى هذا الرجل الذي يقرأ الصحيفة الفرنسية ... انه يراقبنا كما يظهر لي ..

فهزّ سميث رأسه وهو يقول :

ـ لقد كنا تحت المراقبة منذ وصلنا الى نيويورك ، ولتعلم ان

خصومنا يعرفون اننا قد وصلنا ، واننا في هذه الجزيره .

وبعد ان اخذنا بعض الراحة في الغرف المخصصة لنا ، اجتمعنا مساء في حديقة الفندق ، لنأخذ باطراف الحديث فيما بيننا.. فقال السر ليونل موجهاً كلامه الى سميث :

– ما هي الحركة المقبلة .. هـل وضعت خطة للعمل ..؟

فاجابه سميث : اني بانتظار زائر كبـير ، رجل يستطيـع ان يخبرنا بكل المعلومـات الي نحتاجها عن هايتي واسرارها وخفاياها .... اكثر من اي شخص ابيض آخر ...

وقبل ان ينطق احدنا بكلمة اشار لنا سميث بالصمت ، وتقدم عـلى الاثر منا خادم الفندق يحمل الينا طبقاً عليه ثلاثة اقداح من الشراب ..

فسأله بارتون : متى ستكون زيارته لنا ؟

فقال سميث : الافضل ان نسكت فان الخادم مقبل ،ومن الحكمة ان نحرص على كل كلمة نقولها او حركة نقوم بها ، فان المكان لا بد وان يكون مليئاً بعيون فومنشو ...

وسكتنا على مضض .. واخذنا نرشف شرابنا ، وقد غمرتنا الافكار وملأت رأسنا الاسرار والمفاجآت التي كانت بانتظارنا ...

وبعد قليل شاهدنا احد الكهنة يتقدم نحونا في الحديقة، وهو راكب على حماره ...

فصاح السر ليونل : أهذا هو الزائر المنتظر ؟

وقال سميث جواباً على سؤاله :

– هذا هو الاخ امبروز،والافضل ان نذهب الىغرفتي قبل وصوله، فليس من الحكمه ان يشاهدنا احد نتحدث اليه ...

وفي غرفة سميث تم التعارف بيننا وبـين الراهب المحترم ، وهتف

سميث قائلًا بعد ان تم التعارف :

– ان حضرة الراهب سيمدنا بكل المساعدات الممكنة...

وكان الراهب رقيقاً لطيفاً معنا ، واعرب لنا عن سروره العظيم بالاجتماع بنا ، ولما اخذ كل منا مكانه في غرفة سميث ، اخذ الراهب يحدثنا بما قام به حتى الآن ، من النصح والارشاد والتبشير في هذه الجزيرة التي يعبد اهلها الاوثان، ويؤمنون بالسحر والشعوذة والاصنام..

ثم انتقل الكاهن الى ساحرة بيضاء تؤثر تأثيراً عظيماً على سكان الجزيرة .. حتى انها نصبت نفسها ملكة عليهم باسم الملكة نامولا ..

واهتز سميث عند سماع هذا الخبر وسأل الكاهن قائلًا :

– أواثق انت انها بيضاء وليست صفراء ..؟

فقال الكاهن : انها ليست سوداء بالتأكيد ، وقد تكون صفراء ، ان كان الذي سمعته انها بيضاء البشرة ..

ثم نظر الكاهن الى خريطة بارتون ووضع اصبعه عليها ثم قال :

– وعندما تكمل دورة القمر في كل شهر ، ترأس هذه الساحرة حفلة على هذا الجبل ، الذي هو مقر عبدة الاوثان في هذه الجزيرة ..

وصاح سميث : غداً مساء تكمل دورة القمر ..

ونظر الاب امبروز الى وجه سميث، وقد تجهم وجهه قليلًا ثم قال:

– نعم.. غداً مساء يذهب سكان هايتي بعبادة آلهتهم القدامى.. وأني لادرك من عينيك انك ستحاول حضور هذه الحفلة ايها الصديق، ولكن يجب ان تكون حذراً ، وان تعلم بانك اذا ذهبت مسلحاً مع رفاقك ، فلن تعثر على شيء .. واما اذا ذهبت بمفردك فلن تعود ابداً ..

وقال سميث : سأذهب بالتأكيد ..

فقال الكاهن : اذاً فلتحافظ عليك السماء ... فانا واثق انه ليس

باستطاعتي ان اثنيك عن غرضك ، ولهذا فالافضل ان نتكلم في بعض التفاصيل ..

واخذ القس يتكلم مدى ساعة ، والخريطة امامه على الطاولة، مشيراً في اثناء حديثه الى هذا المكان ، وذاك الاثر ..

القس : هذا كل شيء الان ... وسانتظركم في كوخي خارج البلدة عند غياب الشمس ... وساقوم بكل الترتيبات اللازمة ..

سميث : لقد طوفنا ايها الاب بفضلك .. فالى الملتقى .

وكان سميث يستمع الى حديث الكاهن بانتباه عظيم ، وكان يقطع عليه حديثه بين الحين والآخر ، ليسأله سؤالاً او يستوضحه عن امر ، وجلسنا انا والسير ليونل نراقب ونستمع ، بينما كان سميث يفكر في المخاطر التي قد نتعرض لها ، والخطط التي يجب ان نرسمها ثم نعمل على تنفيذها لنصل الى الاسرار الفظيعة التي كانت تضمر هذه الجزيرة المرعبة ..

واخيراً ، ولما انتهى الحديث ، وقف الكاهن على قدميه ، وهو يقول :

— اظن ان هـذا هو كل ما يمكن ان يقال في الوقت الحاضر ، وسانتظركم في كوخي المتواضع ، الواقع خـارج المدينة عند غروب

الشمس ، وفي هذه الاثناء اكون قد رتبت كل شيء . .

ومدّ سميث يده مصافحاً الكاهن وهو يقول :

ـ اننا مدينون لك كثير يا حضرة الاب المحترم . . والى الملتقى عند غروب الشمس . . .

ولما قاربت الشمس على المغيب ، ركبنا سيارتنا وذهبنا الى منزل الكاهن المتواضع ، فوجدناه بانتظارنا على بابه ، وقال لنا وهو يصافحنا :

ـ اهلا وسهلاً بكم . . كل شيء على ما يرام . . تفضلوا بالدخول . . .

بارتون : انكما تشبهان السفلة والاوغاد بهذه الملابس . .

سميث : وهذا ما نحاول ان يكون مظهرنا . .

وقبل ان ندخل الى المنزل هتف الكاهن وهو يتطلع حوله يمنة ويسرة قائلاً :

ـ اشعر ان هناك عيوناً تراقبنا ، والواقع ان هـذا الشعور بدأ يغالجني منذ تركتكم . . . اسرعوا بالدخول . . .

فلما اصبحنا في المنزل ابدلنا ملابسنا حالاً ، بملابس متواضعة احضرها

الكاهن لنا ، وصاح السر ليونل لما شاهدنا في هذه الملابس :

-- انكما اشبه بالمجرمين بهذه الملابس ...

وضحك سميث وقال : وهذا ما نريد ان نظهر به بالتأكيد ..

وبعد ان انتهينا من ارتداء ملابسنا الجديدة ، اخرج الكاهن شيئاً من درج مكتبه ، ثم قال يتحدث الينا :

- ان حياتكم اصبحت معلقة في ميزان القدر الآن ، ولهذا فالافضل ان تأخذوا هذين الاثرين الوثنيين معكما لعلهما تفيدان في المغامرة المقبلة . او يردان كيد الخصوم عنكما..

ونظرت الى يد الكاهن فاذا على راحته صورة حية ، وصورة نجم محلى بالجواهر ، وسمعته يقول وهو يقدمهما الينا :

- انهما من شارات الشيطان الذي يعبده سكان الجزيرة .. وكل ما ارجوه ان يكون لكما منهما فائدة في الوقت الحاضر ... ومن يدري فقد يظن خصومكم انكما منهم اذا شاهدوا هذه الشارات معكما ..

فاخذنا الشارتين منه شاكرين ، وودعناه ، وسميث يقول :

- يجب ان نذهب ... فان المسافة بعيدة ..

فقال الكاهن: ان الحارين خلف

القس: انهما شعار الشيطان..ولكن من الممكن ان ينقذا كما من الموت ..

المـنزل ، فاركباهما ، واذهبا في حفظ الله ...

والتفت عندئذ سميث الى السير ليونل وقال له :

ـ انك تعلم ما يجب عليك عمله .. فقد رتبت كل شيء مع القنصل الاميركي ..

فاجابه السر ليونل : باستطاعتك ان تعتمد عـليّ ، وكم كنت أود لو اكون معكما .. ولكن المصلحة تقضي بان يبقى احـدنا في المدينة ، فاذهبا بحفظ الله ..

وما كاد السر ليونل يعود بالسيارة الى المدينة ، حتى التفت سميث الىّ قائلًا :

ـ دعنا نذهب يا كريفان ..

- ٣ -

المركز السري

قال سميث وهو يودع الكاهن :

ـ شكراً لك على كل ما قدمته لنا من الخدمات ... وعسى ان اراك بعد ايام قليلة ..

فاجابه الكاهن : أتمنى لك كل نجاح .. وليحفظكما الله ..

ومضينا في سبيلنا ، على حمارينا ، وسرنا في الطريق المؤدي الى سفح الجبل ، في سبيلنا الى قلب هايتي السرية الخفية ..

وبينما نحن في الطريق قال سميث :

ـ اننا الآن في قلب الخطر ، واقل خطأ منا يعرضنا للموت حالاً .. فاحـــذر ان تتكلم او تعمل شيئاً من نفسك ، واترك الكلام لي يا كريفان ..

فاجبته : كما تشاء ..

وبينما نحن في طريق الجبل ، امسك سميث بذراعي وهمس يقول :

ـ قف مكانك وانظر الى امامك في الطريق الذي يعلونا ...

وتطلعت الى الطريق الذي يصعد في الجبل ، فشاهدت رجلاً يركب جواداً يتقدم جمعاً من الناس يمشون خلفه ، فدعرت وصحت اقول

ـ يا للهول انه الدكتور فومنشو ..

سميث : اسكت يا كريغان .. وانظر ..

كريغان : يا للداهية .. انه الدكتور فومنشو ..

وقطعنا انفاسنا ، ريثما مرّ فومنشو من امامنا ، ثم دفعنا حمارينا ، بحيث اختلطنا بالجمع الذي كان يسير خلفه ، وقلت لسميث :

– ما هذا الذي نراه امامنا ..؟

– انهم عبدة الاوثان في طريقهم الى حفلتهم الشهرية، وسنسير خلفهم كما لو كنا منهم ..

وكان القوم وهم يصعدون الجبل يحملون المشاعل المختلفة فوق رؤوسهم لتنير الطريق امامهم .. فاختلطنا بهم وسرنا بينهم ، وقلوبنا تنبض بشدة وتخفق بسرعة ..

وفجأة سمعت صوت وقع حوافر جواد يسرع من خلفي ... فقلت لسميث :

– انظر ماذا خلفنا ..

فقال : حافظ على هدوئك ... فقد يكون هذا احد حرس

الموكب .. والافضل ان تخفض رأسك ، وتجعل وجهك ابداً في الظلام بعيداً عن نور المشاعل

واقترب منا رجل يركب جواداً يحدق النظر في كل انسان ويتفحص كل وجه ..

كريفان : انه خادم الفندق ..

سميث : اذاً فقد كان جاسوساً علينا ..

ونظرت خلفي ملياً .. فبدرت من فمي صيحة ذعر وقلت لسميث:

ـ انه الخادم الذي قدم لنا الشراب في الفندق ..

ـ اذاً لقد كان جاسوساً .. انه مقبل نحونا ... فليكن مسدسك جاهزاً ، فاذا عرفنا فلا تتأخر عن اطلاق النار عليه ..

وتقدم الجاسوس نحونا ، وبعد ان حدق في وجهينا ملياً قال بصوت اجش :

ـ من تكونا .. ومن اين اتيتما ..؟

فاجابه سميث بكلمات غريبة لم افهمها ، فتركنا وشأننا ومضى في

سبيله ، فقلت :

– لقد نجونا كما يظهر .. فما الذي قلته له ؟

فهز رأسه وهو يقول :

– لقد اجبته بكلمات لا معنى لها ، وبلغة معروفة في هـذه البلاد اعرف بعض كلماتها .. وما اظن انه فهم حرفاً مما قلته له ...

واخيراً وصلنا الى رأس الجبل ، وانتهت الرحلة فقال لي سميث :

– اظن اننا قد وصلنا ، ولكن الافضل ان نتبع الآخرين ونفعل مثل ما يفعلون .. ونكون ابداً على حذر ..

سميث : هذا هو مكان الاجتماع يا كريفان ، ومن الان وصاعداً ستكون حياتنا معلقة على خيط ..

وبعد قليل ابصرنا امامنا سوراً خشبياً بين الاشجار وقد وضعت المشاعل حول بابه ، واخذ الناس يمرون من هـذا الباب الواحد بعد الاخر ،فقال لي سميث :

– هذا هو مكان الحفلة بالتأكيد.. ومن الان وصاعداً تصبح حياتنا

في ميزان القدر فاحذر ..

فتطلعت الى السياج الذي امامي ، ونظرت الى الباب ثم قلت :

ـ انظر يا سميث ان خادم الفندق واقف على الباب يفحص الداخلين ويتميز هيأتهم ..

ـ ويبدو ان كل من يدخل يقـــدم له علامة او ماشا كل ذلك ، ولكن ما علينا فلا بد لنا من المخاطرة مهما كلف الامر ..

وتقدمنا بهدوء وحذر خلف الجمع ، وبعد قليل اصبحنا امام الخـادم وعلى عتبة الباب ، فهتف عندئذ الخادم يقول :

ـ ما اسمكما وما رقمكما ومن اي مكان اتيتما ..؟

واحنى الخادم رأسه احتراماً ، ومضينـــا في سبيلنا ..

فنطق سميث امامه بكلمات لم افهم لها معنى ، ثم مدّ يده الى جيبه فاخرج الشارتين اللتين اعطاهما له الكاهن ، فعرضهما امام الخادم ، فلما شاهدهما هذا ، احنى رأسه احتراماً ، وسمح لنا بالدخول حالاً ، فمضينا

في سبيلنا وانا اهمس في اذن سميث :

– لقد نجونا .. وهذه من حسنات صديقنا الكاهن المحترم ..

فاجابني سميث : لقد نجونا من الخطر موقتاً، ولكن يجب ان لا تطمئن او تنام ابداً، كن دائماً حذراً، فمن يدري ما يقع لنا بعد ذلك..

وبعد قليل اصبحنا مع عبدة الاوثان الذين اجتمعوا حول الهيكل الذي اقاموه في وسط الارض ، وبدأ على الاثر الرجلان اللذان وقفا الى جانبي الهيكل يدقان طبليهما ، ثم ظهرت الملكة مامولا للمجتمعين ، فسجدوا لها ، فسجدنا مع الساجدين، ثم توقفت اصوات الطبول ، وبدأت الملكة تتكلم ...

يوجد هنا خونة .. اني اشعر بوجودهم ، واني ادعو الروح الخفية لتفضحهم وتشير اليهم ..

وقالت الملكة : يوجد خونة بيننا.. اني احس بوجودهم..ولهذا فاني ادعو (دمبالا) الروح التي لا ترى ولا تظهر ان تدلنا عليهم وتفضحهم..

وقلت لسميث : انها تريدنا بالتأكيد ... فما الذي يجب علينا عمله ؟

فاجابني سميث : لا تتحرك من مكانك ، فقد عرفت الملكة هـذه ، انها (كورنيا) ابنة الدكتور فومنشو ...

وتقدم نحو الجمع المحتشد اثنان من حملة السيوف ، وتفرق الناس من امامهما فزعين ، ثم سمعنا صوتاً لم نشاهد صاحبه يقول :

ـ انا هو (دمبالا) دعيت فأجبت .. انني بينكم . ولكن احداً منكم لا يراني .. ان المخلصين لا يجب ان يخافوا مني .. واما الجواسيس فسأعرفهم، ارتعدوا امام (دمبالا) العظيم ...

وقلت لسميث وقد عرتني رعدة مخيفة :

ـ أعرفت هذا الصوت .. انه صوت فومنشو ..

فصاح بي سميث قائلاً : لننضم الى المجتمعين ونختفي بينهم فهذا افضل واسلم عاقبة ، او نموت في مكاننا ...

كريفان :
ـ خذ هذه
ايها القذر ..

ولكني قبل ان اتمكن من الاختفاء بين الجمهور ، كما فعل سميث ، كان حاملا السيف قد اصبحا امامي .. ثم سمعت صوتاً لم اشاهد وجه صاحبه يقول :

– اني اشم رائحة عدو .. هيا اقبضا على هذا الكلب ..

وقلت في نفسي كيف يستطيع فومنشو الكلام دون ان يراه احد .. ثم تذكرت ما حدثني عنه في لندن لما اجتمعنا لآخر مرة في منزله، وكيف انه في سبيل اختراع طريقة يتمكن فيها من ان يظهر للناس ويتكلم معهم .. ثم لا يراه احد منهم ...

وقبل ان يهجم حاملا السيف عـــليّ ، ارسلت قبضتي الى الجهة التي صدر منها الصوت ، وسقطت القبضة على شيء ادركت انه حنك انسان، وصحت اقول :

– لقد عرفت مكانك ايها القذر .. فخذ هذه ...

وسمعت عندئذ صوتاً يقول : اه ...

وفي اللحظة الثانية ضربني احد الرجلين بسيفه وهو يقول :

– ايها الجاسوس الكلب ...

ودارت الدنيا في رأسي ، ثم سقطت على الارض لا اعي .. وشعرت في هذه اللحظة اني في طريق الابدية ، ولكني كنت اشعر في الوقت نفسه اني قمت بواجبي .. ولم ادر كم من الوقت قضيت وانا غائب عن الوجود .. ولما عدت الى نفسي وجدت ان رأسي لا يزال يتفجر ألماً ، واني جالس على مقعد وثير ...

وادرت وجهي يميناً وشمالاً اتبين المكان الذي انا فيه، فاشتد عندئذ ذهولي وعظمت حيرتي، اذا ادركت اني في طيارة غريبة لا تحدث صوتاً ولم اشاهد مثلها قبل اليوم...

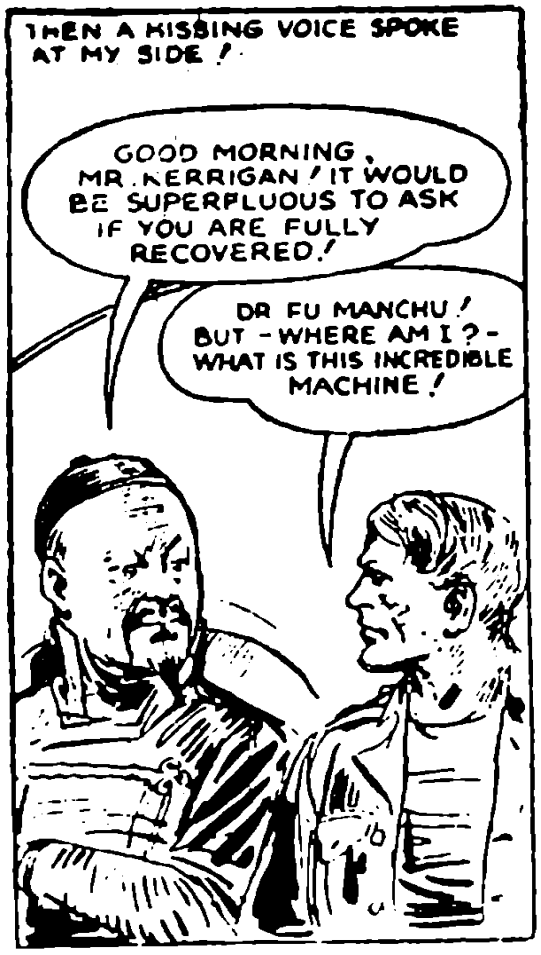

فومنشو : صباح الخير يا سكريفان ، ارجو ان تكون قد عدت الى نفسك ..

كريفان : فومنشو .. ولكن اين انا ؟ وما هذه الآلة الغريبة ؟

ثم سمعت صوتاً يكلمني ويقول :

– صباح الخير يا مستر كريفان .. ما اظن من الحكمة ان اسألك عن صحتك ..؟

وهتفت دهشاً لما عرفت في المتكلم الدكتور فومنشو ، وسألته وانا اكاد لا أصدق عيني :

– اين انا .. وما هذه الطائرة الغريبة ؟

ورحت انظر يميناً وشمالا ، وقد ادهشني سكوت هذه الطائرة التي لا تحدث صوتاً ، ولا حركة ، ثم سمعت فومنشو يقول :

– انك في احدى هذه الطيارات التي اخترعتها ، وهي تسير بواسطة الاشعة التي حدثتك عنها ، وأريتك مفعولها في لندن .. ولتعلم ما دمت

تحب الفضول ، انها احد الاسلحة التي سوف أسيطر بواسطتها على العالم.

ونظرت بخوف وذعر الى وجه الطيار المشهور ..

وسكت فومنشو ملياً ثم تابع حديثه يقول :

ـ ولا بد انك تعرف الطيار بالتأكيد ... انه الطيار الانكليزي المشهور النيفتون ، وهو اليوم يعمل معي برضى وسرور ، لا تطلب منه ان يساعدك ، فهذا مضيعة للوقت ، بعد ان اصبح احد رجالي المخلصين ..

ونظرت بذعر وخوف الى الطيار الانكليزي الشهير الذي اختفت آثاره ، وما كدت انظر الى وجهه حتى ادركت انه تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، فصحت في هلع :

ـ ايها الشيطان ..

وتملكتني رعدة ، فجثمت في مكاني لا أتكلم ولا أتحرك ... وقد طافت في رأسي الافكار عما سيكون مصيري ، وتخيلت نفسي تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، عبداً لهذا الشيطان المخيف ، الذي يحاول بواسطة

اختراعاته الجهنمية ان يسيطر على العالم ، ويبدل وجه الدنيا ..

وبعد قليل اخذت الطيارة تدور حول بركان قد انطفأت حرارته منذ اجيال كما يظهر ، ثم اخـــذت تهبط في فجوته الواسعة العريضة ، فذهلت وتولتني الدهشة ، وقلت لنفسي :

– ترى الى اين نحن ذاهبون ..؟

وسمعت فومنشو يقول :

– ولتعلم اني لا استخدم إلا عباقرة الناس ، وبعـــد ان أقدم لهم الأسعافات اللازمة يصبحون عبيداً لا يعصون لي امراً ، ولا يردون طلباً ..

واخذت الطيارة تهبط في فجوة البركان الخامد الهادىء ، حيث كان مركز الشيطان فومنشو ، ومقر اعماله ..

وما كادت الطيارة تجثم على الارض حتى أحاط بنا حرس الشيطان الاصفر ، واشار لي فومنشو بمغادرة الطيارة ، ففعلت ، ثم سمعته يقول :

– انك الآن في مغارة كريستوف العظيم ، وهي مقر قيادتي الذي سأسيطر منه على العالم ..

ونظرت حولي فشاهدت ويا لهول ما شاهدت،بحيرة كبيرة ومغارة عظيمة حولها ، تحيط بها من كل الاطراف والجهات ..

وعندئذ ادركت انها المرفأ السري الخاص بفومنشو الذي اشار اليه سميث في حديثه ، لما قال ان اسطولاً عظيماً يستطيع الرسو فيها ..

كانت هناك غواصات راسية ، وقطارات عـــلى الارض سائرة ، وماكنات ضخمة تعمل ، وحظائر للطائرات ، مما لا يخطر عـلى قلب بشر ، ولا يفطن له انسان ..

وكان صوت الماكنات الكبيرة الهائلة التي لم ادرك سرهـــا يصم

ونظرت الى المغارة الهائلة والبحيرة ، وادركت انها المرفأ السري الذي ذكره سميث ..

الآذان ، وفجأة جذبني فومنشو الى جانب من جوانب المغارة الهائلة الواسعة ، وقال لي :

— يبدو انك كثير الاهتمام بحركة التسلح التي تراها امام عينيك ، واذاً فاعلم ان غواصاتي وطياراتي الجديدة ، التي تسير بقوة اشعاع الشمس ، تنصع في هذا المكان ، وانك في سبيل مشاهدة المصانع الكبيرة التي تعمل على اخراجها وتحضيرها ..

« انظر هذه احدى غواصاتي الصغيرة ، ان سرعتها اضعاف اضعاف

سرعة زميلاتها من غواصات الدول الكبرى ، وهي تحمل في طياتهـــا عشرة اضعاف ما يحمله غيرها من المواد الهدامة ، وآلات التدمير ... »

وعرتني رعدة شديدة لما وقفت انظر الى اختراعات هذا الشيطان ، وادركت ان حديثه لي يدل على انه قد اعتزم الاحتفاظ بي ، وانـه لن يتركني حراً بعد اليوم ، لاتحدث الى العالم باسراره وخطره ...

وانه في الواقع اصبح بين احد امرين : إما ان يقتلني حـالاً ، او يستخدمني بقوته المغناطيسية التي شاهدت اثارها في سواي ، ليجعلني من عبيده الطائعين ..

وفي هذه اللحظة اصدر فومنشو امراً ، فتقدم نحوه احـــد ضباط البحرية ، فقال لي وهو يعرفني عليه :

ـ انه احد ضباط اسطولي القومندان هينش ... وكان سابقـاً احد ضباط البحرية في الاسطول الالماني ...

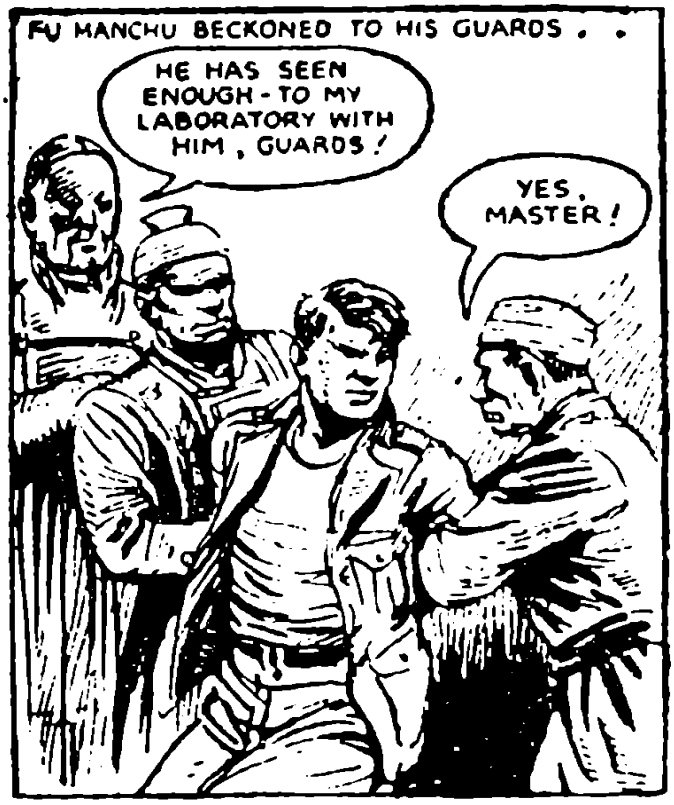

فومنشو : لقد شاهد ما فيه الكفاية فخذوه ..

فصحت في وجهه بعد ان حدقت في وجه الضابط الالماني وقلت :

.. وهـــذا المسكين ايضاً قد ذهب ضحيـــة التنويم المغناطيسي ايهـــا الشيطان ...

واشار فومنشو عندئذ الى بعض حرسه ، وهو يقول :

– لقد شاهد صاحبنا الكفاية من الاسرار والغرائب .. فخذوه الى مختبري ...

وهجم اثنان من الحرس ، فأمسك كل واحد منهما باحد ذراعي ، واخذا يجراني الى رواق مظلم .. كان يقوم في اخره مختبر الشيطان الرجيم ..

وكان الدكتور فومنشو يقول لي في اثناء ذلك :

– لقد كان من حقي ان اقضي عليك يا مستر كريفان لتجرأك على ضربي في الحفلة ، ولكني عفوت عنك ، واردت زيادة في اكرامك ان اجعلك من خدمي وعبيدي ...

٤

الانتصار العظيم

حاولت المقاومة بكل قواي ، ولكني لم اوفق ، وتغلب العبدان عليّ .. وتمكنا من ادخالي الى غرفة المختبر المشئومة ... حتى اجلسوني بالقوة على مقعد فيها ...

وعندئذ قال فومنشو يخاطبني :

ـ ستكون مفيداً لي يا مستر كريفان ..

فصحت اقول: انك تريدني ان اكون عبداً لك.. واني افضل الموت على هذه الحياة ..

وصاح فومنشو يقول :

ـ ارداثا .. اجلبي المصل الموجود مع آلات الجراحة .. فان معي صديقاً لك .. يريد الانضمام الى جماعتنا ...

وظهرت الآن ارداثا .. وكانت تقف في ركن من اركان الغرفة يخيم عليه الظلام فلم ارها لاول وهلة ...

فلما شاهدتها هتفت اقول لها :

ـ ارداثا .. اني ترى كريفان .. وانا صديقك كما تعلمين .. ولا بد انك تذكرينني ، وما اظن انك ستعملين شيئاً ضدي ...

وصاح فومنشو ضاحكاً :

ـ انك في سبيل اضاعة وقتك يا كريفان ، فارداثا واقعة تحت تأثيري،

فومنشو : انك في سبيل اضاعة وقتك يا كريفان .. ان ارداثا الجميلة تحت سلطاني ، وستفعل ما امرها به ..

ارداثا : نعم يا سيدي ..

وهي تفعل دائماً كل ما امرها به ...

وقالت ارداثا : نعم يا سيدي ...

واخذت دقات قلبي تضعف بسرعة لما شاهدت ارداثا ، تمدّ يدها فتستخرج المصل الرهيب من مكانه ، ثم تحمله في يدها ..

وسمعتها تقول كمن تخاطب نفسها :

– تري كريفان .. صديق .. ان اوامر الدكتور فومنشو يجب ان تطاع ، واما الاحياء الاموات فلا ..

ولم افهم شيئاً مما كانت تقوله .. ولكني شاهدتها فجأة تقذف بالمصل الى الارض ، ثم تسرع نحو سلسلة من الازرار الكهربائية .. وهي تقول لنفسها : لرئيس .. تري .. ان رأسي يكاد ينفجر ... ولكن هذا لا يمكن ان يكون ..

وعلا الآن صوت فومنشو يقول :

ـ ارهاثا .. هل تسمعينني .. أطيعي ..

وفجأة انطفأت الانوار الكهربائية .. وبمثل لمح البصر ادركت ان هذه هي الفرصة السانحة للنجاة .. وانا اقول لنفسي :

ـ لقد عرفتني .. فاطفأت النور لتساعدني على الهرب ..

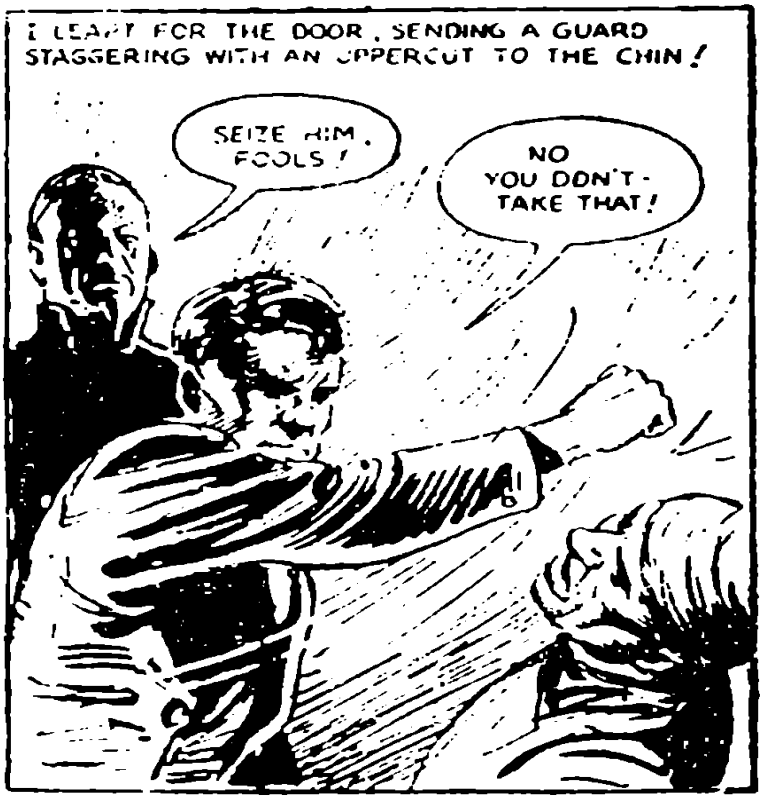

فومنشو : اقبضوا عليه حالا ..

كريفان : لن توفق ... خذ هذه ..

وقفزت نحو الباب.. دافعاً في طريقي احد الحارسين فرميته ارضاً، بعد ان ضربته بقبضة يدي .. وسمعت صوت فومنشو يصيح برجاله :

ـ اقبضوا عليه ..

واسرعت فتخطيت الباب الى الرواق، في طريقي الى المغارة العظيمة.

ولمست حجارة الصخرة الصماء الناتئة في طريقي ، فاخذت اصعد عليها ... حجراً بعد آخر ... وقد اخذت العهد على نفسي ان لا ادع خصومي يقبضون علي مرة ثانية ..

وبعد قليل ادركت اني وصلت الى ثغرة او فجوة من هذه الثغرات

فومنشو : فتشوا هذه المغارة ، فلا يجب ان يهرب حياً ..
كريفان : اذا رفعوا رؤوسهم قضي علي ..

التي توجد عادة في الصخور الضخمة ، فاختفيت فيها ..

وفي هذه اللحظة شاهدت فومنشو وحوله رجاله ، وهم مدججون بالسلاح ، يبحثون ويفتشون ، وهو يصيح فيهم :

— فتشوا المغارة صخرة بعد صخرة ، ولا تدعوه يهرب حياً من بين ايديكم ..

وحفزني كلامه على متابعة الجهد ، فمضيت اصعد الصخرة ، وكان النصب قد تولاني ، وخوف الوقوع في ايدي هؤلاء الشياطين قد أرعبني .. ورحت اقول لنفسي :

— يبدو اني لن أتمكن من الوصول سالماً الى اعلاها ... فهذه هي النهاية لا شك فيها ..

وفجأة ففرت فمي من الدهشة ... ولم أصدق عيني ابداً في اول الامر ، لما شاهدت شبحين يتدليان على الحبال من اعلى البركان

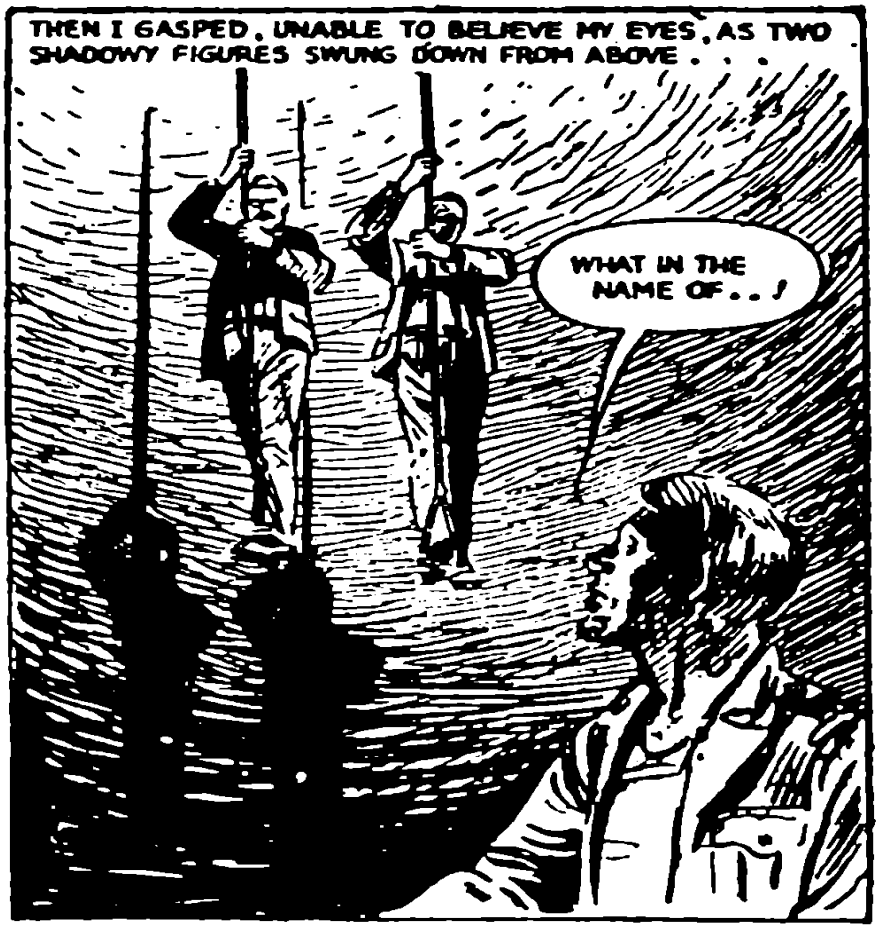

كريفان : مـــا هذا ؟..

وصحت دون ان اشعر :

ـ ما هذا يا إلهي ...

وسمعت صوتاً اعرفه يقول :

ـ امسك به يا سميث .. فانه يكاد ان يقع ..

وهتف عندئذ سميث يقول :

ـ انه كريفان يا بارتون... لقد عثرنا عليه اخيراً ..

وفي هـــذه اللحظة شعرت بيد صديقي سميث مفتش البوليس تحتويني .. ثم يجذبني الى صدره، وكنت قد اصبحت على آخر رمق من التعب والاعياء ..

وصاح السر ليونل بارتون يقول :

ـ لقد وصلنا في اللحظة المناسبة الحاسمة ...

فهتف سميث يقول لي :

ـ هدى، روعك يا صديقي ... فاني اعلم مقدار ما قاسيته ولاقيته .. ولكننا قد استطعنا الوصول اليك وانقاذك ..

ثم التفت الى بارتون وقال :

ـ اعط الاشارة ليسحبوننا الى اعلى البركان ..

السر ليونل بارتون : امسكه يا سميث فانه يكاد ان يقع.
سميث : انه كريغان .. لقد عثرنا عليه يا بارتون .

واعطى بارتون الاشارة.. وبدأ اصدقاؤنا الذين كانوا ينتظروننا على سطح الارض امام فوهة البركان يسحبون الحبال ..

وبينما انا في هذه الحالة وقد تملكني الذهول بعد الغرائب التي شاهدتها، سمعت شخصاً من فوق البركان يقول :

ـ هيا اسحبوا الحبال يا شباب ... فقد نجحوا في انقـــاذ الشخص الذي كانوا يبحثون عنه ..

واخيراً شاهدت نور الشمس ، واصبحت فوق البركان .. ونظرت حولي دهشاً لما شاهدت عدداً من البحارة الاميركيين ، وطيارة صغيرة من طراز الهليكوبتر التي تستطيع النزول فوق الجبال وفي اي مكان

وصعدت الى سطح البركان ، ونظرت حولي دهشاً الى البحارة الاميركيين وطيارتهم الصغيرة .

من الارض ..

وقبض سميث على ذراعي ، وهو يقول :

ـ لا بد انك متعجب لوصولنا اليك ، ولمعرفتنا بمقرك ... ولكن الفضل في هذه الحركة يعود الى السير ليونل بارتون ، فهو الذي تبعنا بالطيارة ، فانقذني اولاً خارج الهيكل لما هربت انا، وقبضوا عليك انت.

« ثم تبعناك الى هذا المكان مع هؤلاء الجنود من البحرية الاميركية، لان اميركا شديدة الاهتمام بكل اعمال فومنشو ومخترعاته ..

وقبل ان انطق بكلمة ، او ازجي كلمة شكر لصديقي ، تقدم الماجور الاميركي الينا وقال يخاطب سميث :

ـ ما الذي يجب ان نفعله الآن يا سيدي .. ان الاوامر الصادرة الينا ، تفرض علينا ان نقوم بتنفيذ ما تأمر به ، فهل تريد ان نبدأ عملنا ضدهم ..؟

فقال سميث : نعم يا حضرة الماجور .. فاستعد لالقاء القنابل عليهم

من رأس البركان ، واظن ان هذه الحملة ستكون نهاية فومنشو واتباعه واختراعاته ..

وصحت عندئذ اقول : ابداً .. لا تفعل شيئاً من هـذا يا سميث ، فان ارداثا لا تزال معهم ، وقد انقذت حياتي ... ولهذا فيجب علينـا انقاذها قبلاً ..

وقال سميث : لقد نسيتها في الواقع .. ولم افطن الى وجودها في هذا المكان ..

وفجأة ارعـدت السماء ، واخذت السحب تتجمع بعضها فوق بعض، منذرة بان الدقائق المقبلة ستشهد مطراً متواصلاً وزوابع كثيرة ..

وقلت لسميث لما اصبحنا على حافة البركان : لا بد ان يكون هناك مصعد حول حافة البركان ، فقد شاهدت آثار مصعد في مختبر فومنشو..

فاجال سميث نظره فيما حوله ، حتى عثر على مدخل المصعد المخفي في الصخر، فاشار الينا لنتبعه ففعلنا، وبعد قليل هبطنا في المصعد الى الرواق وكان سميث يقول في اثناء ذلك :

كريغان: ـ هذا هو مختبر فومنشو امامنا ..

سميث : هيا بنا اليه ..

ـ ان هذا المصعد يوفر علينا كثيراً من العناء، وانصحكم بان تقبضوا على مسدساتكم بايديكم ، فان علينا ان نعمل بسرعة وقسوة حين نصل الى اسفل البركان ..

وعندئذ طافت في خاطري ذكريات الساعات التي خلت، والاهوال التي شاهـــدتها ، وكيف اني اعود الآن الى مقر الاسرار والعجائب والغرائب ، وعدت الى نفسي لما سمعت سميث يقول لي :

ـ انت تعرف الطريق يا كريفان ، فتقدمنا ونحن نتبعك ..

واجبته دون ان اشعر : بالتأكيد يا سميث ..

وما كاد المصعد يقف ، حتى غادرناه الى الرواق ، وتقدمت صديقي فيه وانا اقول : هذا هو باب غرفة مختبر فومنشو ..

وصاح سميث بصوت شديد : هيا بنا نقتحم الغرفة ..

سميث : ارفع يديك يا فومنشو ، فقد قبضنا عليك اخيراً .. ولا يبق لك امل بالخلاص.

فومنشو : نيلالد سميث ...

وعندئذ تقدمنا سميث الى الباب واقتحمه ، ودخلنا نحن خلفه..

وكان اول ما شاهدته فومنشو جالساً حول مكتبه، وما كاد سميث

يشاهده حتى صاح في وجهه ، مصوباً مسدسه نحو رأسه :

– ارفع يديك يا فومنشو .. فقد افتضح امرك ، وانتهى كل شيء .. واصبحت في قبضتي ..

وهتف فومنشو : نيلاند سميث ..؟

وظهرت ابتسامة عريضة ماكرة على وجه الساحر المخيف ، وضغط على زر امامه ، وهو يقول :

– اذاً فقد قررت تشريفنا بزيارتك ايها المفتش ... اني ساصفح بالتأكيد عن الشخص الذي دلك على هذا المكان ، ولكني ما اظن انك تنتظر مني ان أعاملك مثل معاملته ..

وامسكت بساعد سميث لما حاول ان يتقدم نحو فومنشو وهو يقول :

– دع عنك هذا الكلام ..

فصحت به قائلاً : لا تتحرك يا سميث من مكانك ، لانك ان تقدمت خطوة اصبحت ميتاً ..

وظهرت على الارض امامنا الخطوط الاشعاعية التي رأيتها في لندن ، والتي اذا حاول المرء ان يتخطاها سقط ميتاً مصعوقاً ..

وتذكرت ان هذه الذرات الاشعاعية قد ردت رصاصتي عن صدر فومنشو ، وأسقط في يدي حين استشعرت اننا اصبحنا تحت رحمة فومنشو مرة اخرى ..

وقلت لسميث الذي كان لا يزال يتحفز للانقضاض على فومنشو رغم كل ما سمعه مني :

– لا تتحرك من مكانك لا انت ولا بارتون .. فان محاولة تخطي هذا الاشعاع معناها الموت حتماً ..

وصاح عندئذ سميث يقول :

– اذاً لقد اصبحنا تحت رحمة هذا الشيطان ..

يبدو ان الصاعقة قد سقطت في جوف البركان ..

وفي هذه الاثناء كانت العاصفة قد اشتدت فوق رأس البركان ، وبدأت الصواعق ، تتساقط واحدة بعد الاخرى ، وكان البحارة الاميركيون في مكانهم يراقبون هذا التبدل الجوي المفاجيء ، وفجأة صاح احدهم يقول للماجور :

– يا إلهي .. انظر يا حضرة الماجور ، لقد سقطت الصاعقة في وسط البركان ..

وسقطت الصاعقة بالفعل الى حيث كنا ... في مختبر فومنشو ، واحدثت عند سقوطها صوتاً مريعاً ، وكأنها سقطت فوق هذه الاشعة التي كانت حولنا ، فتصاعدت حولنا الشرارات القاتلة من كل جانب ، ولكنها والحمد لله لم تؤذنا ..

وعندئذ ادركت ان الصاعقة قد عطلت الماكنة التي تحدث هذه

كريفان : لقد احترقت ماكنة الاشعاع بواسطة الصاعقة ..

سميث : لقد هرب فومنشو فهيا بنا نلحقه ..

الاشعة ، فاصبحت دون جـدوى ، فصحت بسميث اخبره بذلك ... فصاح يقول :

– لقد هرب فومنشو .. فهيا بنا نتبعه ..

واسرعنا خلفه ، ومسدساتنا في ايدينا ، ولكننا مـــا كدنا نغادر مكاننا حتى شاهـــدت الدنيا تنقلب فوق رؤوسنا ، فقد كان من اثر الاشعة وسقوط الصاعقة، ان اخذ البركان يهتزّ فوق رؤوسنا، وتتساقط حجارته حولنا ، فصاح بنا سميث قائلًا :

– يا للسماء ... ان البركان بدأ ينقض فوق بعضه ، واخشى ان يسقط فوقنا .. فنظمر في قيد الحياة ..

وما كاد سميث ينتهي من كلمته هذه حتى شاهدنا الطيارة الحربية الصغيرة تهبط علينا من فتحة البركان الواسعة ..

وصاح سميث عندئذ : لقد اسرع الماجور الينا ..

سميث : لقد جاء الماجور لانقاذنا ..

كريفان : اذاً فلا يزال عندنا امل ..

فقلت وانا اكاد اقفز من الفرح :

ـ اذاً فلا يزال امامنا امل بالنجاة ..

وما كادت تستقر الطائرة الصغيرة على الارض حتى هتف الماجور الاميركي يقول :

ـ هيا اسرعوا ايها الشباب .. فعلينا ان نغادر هذا المكان سريعاً قبل ان تنقض الدنيا علينا ..

فامسك عندئذ سميث بساعدي وقال :

ـ تعال نذهب يا كريفان ..

ولكني كنت في شاغل عنه بارداثا ، ترى اين هي ... وهل سقطت الصخور فوقها فطمرتها.. لقد بدأ العرق يتصبب على وجهي خوفاً عليها.

وسقطت على الاثر الى جانبي صخرة عظيمة ، فتحطمت تحت قدمي، ولكني لم اعرها بالاً ولا شأناً ، وصاح عندئذ سميث في وجهي يقول :

الماجور : تعال معنا ايها المجنون ، فلسوف نطمر احياء اذا بقينا ..

كريفان : لا استطيع الذهاب بدون ارداثا ..

ـ تعال ايها المجنون .. فاننا سنموت في مكاننا بسببك ..

فقلت له وقلبي يكاد ينفطر هماً وحزناً :

ـ ولكني لا استطيع مغادرة هذا المكان بدون ارداثا ..

كريفان :
ـ ارداثا ..
إلحمد لله ..
تعالي معي ..
يا ارداثا :
ـ تري ..

وفجأة شاهدتها تقف امامي ، وتخرج من مكان ما بين الانقاض ..
فاسرعت نحوها ، وامسكت بيدها وانا اقول :
ـ ارداثا هذا انت .. حمداً للسماء .. تعالي معي ..
وقالت وهي تلهث : تري ..
واسرعنا جميعاً الى الطيارة فامتطيناها ، ثم اخذت تصعد بنا .. بينما اخذت صخور البركان تتساقط فوق بعضها ..

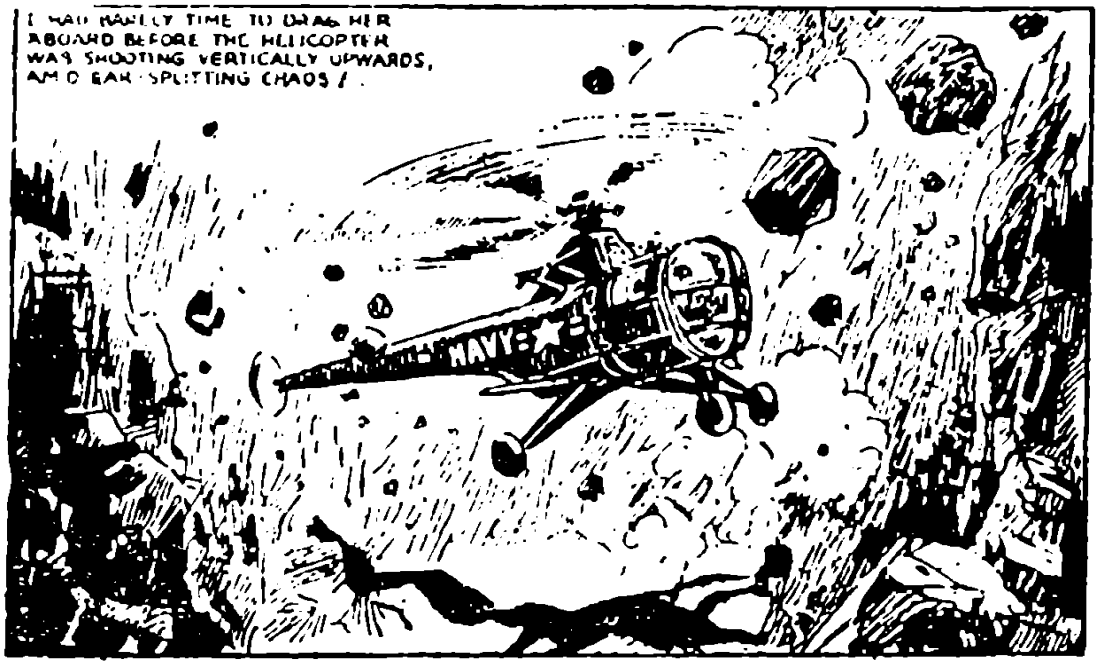

وما كدت اجذتها الى داخل الطيارة حتى انطلقت هذه نحو راس البركان ..

وبينما نحن نصعد في طبقات الجو شاهدنا ، ويا لهول ما شاهدنا،شاهدنا البركان يهتزّ ، ثم ينقض بعضه فوق بعض ، فيدمر كل شيء تحته، ويقضي على كل حياة في جوفه ..
وسمعت عندئذ الماجور يقول :
ـ يبدو اننا لم نعد بحاجة الى القنابل التي معنا ، فان البركان قد دمرّ كل شيء تحته ..
وهتف سميث وهو يفرك يديه قائلاً :

ارداثا: اني اشعر بتبدل عظيم لا اكاد أصدقه.. حتى كأن هناك غمامةقد انقشعت عن رأسي..

كريفان: لقد اصبحت حرة يا ارداثا، وبطل تأثير فومنشو عليك

– وبهذا انتهت قصة فومنشو الذي كان يحاول تدمير العالم بمخترعاته الجهنمية ...

وبعد ساعة من الزمن، هبطت الطائرة في مطار المدينة في هايتي.. وكانت ارداثا لا تزال ممسكة بمعصمي، فلما اصبحنا على الارض قالت:

– اني اشعر كأني مخلوق جديد، وان الضباب الذي كان يغمر رأسي، قد انقشع وزال..

فاجبتها: لقد اصبحت حرة يا ارداثا، وزال تأثير فومنشو عليك، وما علينا بعد هذا إلا ان نحمد الله على ان تأثيره الشيء قد زال عنك، وعن سواك من الناس..

بعد ايام ... وبعد ان اخذنا حظنا من الراحة، غادرنا هايتي الى نيويورك، ومن مطار نيويورك ركبنا الطيارة الى لندن ...

واما كنوز كريستوف فيبدو انها طمرت الى الابد تحت انقاض

وأما فومنشو فقد قضى نحبه على ما اعتقد مع اتباعه الذين كانوا معه، كما تهدم اسطوله، وتدمرت طائراته، وتحطم المرفأ الذي انشأه ..

وبهذا نجا العالم من شره وطغيانه ...

وعادت إلي الراحة التي فقدتها طيلة الاسابيع التي تتبعت فيها اثره، والتي كانت من اخطر ما مرّ عليّ في حياتي ..

— تمت —

لغز البوليس السري

الشبح الأسود — الساحر الصيني

من المنتحر — الرصاصات الأربع

سر الساعة — القاتل المجهول

لعبة الموت — زعيم اللصوص

المحتال — إختفاء المهندس

لصوص — سر القصر — سر الكمنجة

عشيق الليدي شاترلي — المرأة المجرمة

متعهد التوزيع في سوريا
مكتبة التعاون - السيد حسن الغن

الثمن ٢٠٠ ق. ل. او ما يعادلها